

المنوعات فى هامش الحرية

1

. فى نهايات العام ٢٠٠٩ كنت قد انتهيت من هذا الكتاب «التجسس على الأقباط... الكنيسة فى قبضة أمن الدولة»... حاولت نشره عبر ثلاثة ناشرين، وفى كل مرة كان يأتى الجواب بالصمت المريب، الذى لا أعرف ما وراءه.

عرض الناشرون الثلاثة الكتاب على أمن الدولة قبل النشر، تحسبا لأية مضايقات، أو طلبا للأمان، فالجهاز لم يكن يصادر كتباً بعد أن تصدر، لكن كانت لديه وسائل أخرى لمضايقة الناشرين، والتضييق على الكتاب، وهى وسائل مراوغة وخادعة كان من الصعب إثباتها.

عندما كتبت عن الأقباط وأمن الدولة لم أكن أحارب الجهاز العنيد، الذى كان

يسيطر على كل شيء في مصر، ولم أحاول إدانة الكنيسة ورجالها الذين يتعاونون مع ضباط الجهاز بشكل منهجي ومنظم.

حاولت فقط أن أرصد ما يجري، وكانت لدى الشجاعة أن أطلب بأن يظل ملف الكنيسة في أمن الدولة، وهو ما أزعج الكثيرين ممن يهتمون ويتابعون الملف القبطي، لكنني رأيت أنه وفي ظل نظام مبارك، الذي كان يسيطر على كل شيء، ويدعى أنه منح المصريين حريتهم، لا بد من أن يتحمل كل طرف مسؤوليته.

كنت أعرف أن جهاز أمن الدولة حتى لو ترك ملف الكنيسة، وذهب إلى أي مؤسسة أخرى، رئاسة الجمهورية أو مجلس الوزراء مباشرة، فإن سيطرة الأمن ستظل عليه، لن تنتهي أبداً، وساعتها الذي سيتغير الالفة فقط.

وعليه كان من رأيي أن يباشر أمن الدولة عمله في الملف القبطي لكن باحتراف، وهو ما نشرته عبر مقالات صحفية، فهمها مثقفون أقباط، كما فهمها ضباط الجهاز الذين ركنوا إلى أن هناك من يطالب بأن يظلوا قائمين على الملف، وإن أزعجهم أنني طالبت بأن تتغير أفكارهم وأساليبهم في إدارة الملف القبطي.

هذه في النهاية فصول ظلت ممنوعة من النشر في عصر مبارك.

لا أدعى أن كثيراً مما كتبه تعرض للمنع، ولكن كانت هناك ممنوعات كثيرة في العصر الذي كان رجال مبارك يصفونه بأنه أزهى عصور الديمقراطية (وهذه قصة أخرى لم يحن وقت توثيقها بعد)... وكنا نراه نحن مجرد هامش فقط... نتحرك فيه، ونراعي ألا نصطدم بالسقف من أجل أن نستمر... وأن نكتب... وأن نكشف... كنا نؤمن أن الصخرة الصماء يذيبها الماء... وقد حاولنا ما وسعنا جهدنا حتى جاءت العاصفة الكبرى فاقتعلت الصخرة التي لا تزال جذورها ثابتة في الأرض.

هناك من يعتقد أن سلطان أمن الدولة زال، وأن جهاز الأمن الوطني الذي حل

محله يختلف عنه تماماً، لكننى أجزم أن العقلية التى كانت تحكم العمل فى أمن الدولة لا تزال قائمة، فليس بتغيير الأسماء وحدها تتغير الأحوال وتبدل.

ولذلك فإننى أنشر هذا الكتاب الآن... كما كتبته فى عصر مبارك... لا أزيد شيئاً... فلا شيء تغير... ولا شيء سيتغير.... ثم أنه كلمتى التى لن أتبرأ منها أبداً. إنه فقط للتذكرة.

لمن كان له قلب.

ولمن كان له عقل.

الباز

مارس ٢٠١٢